http://nidaulhind.blogspot.com

أثر العلوم الهندية فى العصر العباسى

للدكتور على عبد الرحمن أبا حسين

لم يكن العلم مقتصرا فى وقت ما على عقل دون آخر وان الامة تتأثر بما عند الامم الاخرى نتيجة للاختلاط او الامتزاج فيما بينها وان فلسفة الاغريق مثلا نتاج ما وصله العقل البشرى ولكنه اتسع عند اليونان وهكذا عند الهند والعرب وغيرهم .

ولاشك ان كثيرا من المصادر التاريخية اجمعت على أن نزول آدم عليه السلام خليفة الله فى أرضه كان (سرنديب) من بلاد الهند فقد نزل فى خير واد بعد وادى مكة ، وهذا الوادى بارض الهند وعلى الجبل المقدس ذلك الذى يقال له (بوذ) ، ومنه انفجرت ينابيع الحكم على لسان الرسول الاول ابى البشر آدم عليه الصلاة والسلام : وقد وجدنا ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد فى ميلهم للعلم ، واكثر ما يميلون الى تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات واستعمال الامور الروحانية .

وقد شهد العصر العباسى فيضاً من العلوم نتيجة الترجمة ، وجذبت (بغداد) عاصمة الخلافة العباسية وقتئذ العلماء من كل ارجاء العالم نظرا لموقعها الوسط فى الامبراطورية ولانها على نهر (دجلة) الذى ينحدر الى الخليج ومنه الى المحيط الهندى فسهل ذلك اتصالها بالهند تجاريا وعلمياً كما ان (علم الانواء) او الفلك عند العرب تقدم بسبب ادخال الكتابين المعروفين بـ (السندهنتا) و (ارجبهد) اذ نقلا الى العربية ببعض التصرف فى اواسط القرن الثانى للهجرة وانتشر مضمونها فى الدوائر الراغبة فى العلوم رغبة صحيحة فكان هذا النقل بداية طيبة لتدوين علم الفلك فى

http://nidaulhind.blogspot.com

اواخر القرن الثانى الهجرى مما يتضح من فهرست (ابن النديم) وكتب (الفزارى) كتاب الانواء، و(ابن قتيبة) المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية له كتاب الانواء ايضا وغيرهم. وعلى أثر ترجمة الكتب الهندية واليونانية عمل العرب على البحث فى علم الهيئة فظهر (محمد موسى الخوارزمى) المتوفى سنة ٢٣٦ هـ و (موسى بن شاكر) واولاده، والبتانى المتوفى سنة ٣١٧ هـ، و (ثابت بن قرة) المتوفى سنة ٢٨٨ هـ (والصوفى) المتوفى سنة ٣٧٦ هـ و (ابو الوفاء) المتوفى سنة ٣٨٨ هجرية و (ابن الهيثم) المتوفى سنة ٤٣٠ هـ و (البيرونى) المتوفى سنة ٤٤٠ هجرية وغيرهم ممن قاموا بالرصد فصححوا وزادوا على ما وجدوا واقتبس العرب منازل القمر من الهند بواسطة الفرس وان الثمانى والعشرين يوماً فى الشهر هى ايضاً عدد حروف الهجاء عند العرب كما هى عدد منازل القمر ويشبه الجهاز الهندى (الانواء او المنازل) العربية للقمر. ولكن العرب فى تآليفهم فى الفلك لم يوردوا مطلقاً الأوهام والخرافات التى ذكرتها الامم القديمة فلو درسنا كتاب الانواء لابن قتيبة الدينورى لوجدناه علمى محض لا خرافات فيه. وبذا تقدم علم الفلك فى العصر العباسى نظرا لأن بعض الخلفاء والوزراء قربوا المنجمين كابى جعفر المنصور وجعفر البرمكى لاعتقادهم بان حركات النجوم لها علاقة بما يحدث فى الدنيا من خير وشر، ولعلماء الفلك من اهل الهند طريقة تخالف طريقة منجمى الروم والعجم فكان نظر علماء الهند فى تسمية الكواكب بالسعد والنحس غير ما يراه علماء اليونان لان اليونانيين نظروا الى السعادة الدنيوية فكل كوكب موجب للتلذذ الدنيوى سموه سعداً والذى ليس بموجب له سموه نحساً بينما نظر الحكماء الهنود الى السعادة الاخروية فكل كوكب موجب للنعم الدنيوية سموه نحساً والذى ليس بموجب له سموه سعداً.

http://nidaulhind.blogspot.com

وهذا لعمرى رأى فيه تشابه لما يراه المتصوفة فالسعد عندهم فى الحياة الاخرى والاعراض عن زينة الدنيا وزخرفها لانها عوامل نحس، خاصة اذا علمنا ان القرن الثانى الهجرى وما بعده ظهر فيه الصوفيون ولعل تأثير الهنود من أحد اسباب ظهورهم. ويبدو اثر علم الفلك الهندى فى العصر العباسى بعد أن ارتحل (ابومعشر الفلكى البلخى) المنجم المشهور المتوفى سنة ٢٧٢ هجرية الى الهند واقام بها مدة وكسب علم النجامة من علمائه وقيل ان لقيه رجل من البراهمة من جبال شمال الهند وعلمه اياها ولابى معشر هذا كتاب السنين والمواليد ترجمه عن كتاب السندهنتا من (براهما غبطا). وكان (ابراهيم الفزارى) وابنه محمد المتوفى سنة ٨٠٨ م الفلكيان لها علاقات علمية بالهند فكانا يعرفان قسما من السندهنتا وهو كتاب فى الفلك الهندى علاوة على ذلك فقد ترجم محمد ابراهيم الفزارى بعض الكتب الهامة من السنسكريتية الى العربية وان الفزارى اول من وضع الاسطرلاب واعد جداول فلكية لتحديد المواقيت المضبوطة لاقامة الشعائر الدينية.

وقد دعا ابراهيم الفزارى العالم الفلكى الهندى (مانكا) وأحضر معه السندهنتا التى ترجمت الى اللسان العربى.

والسندهنتا هى خمس رسائل منها (سوريا سدهانت) وتعنى (حكمة الشمس او حكمة النجوم) و (روما كا سدهانت) ومعناها (الحكمة اليونانية) فى الفلك و (بوليشا سدهانت) نسبة الى احد علماء الاغريق و (فشيشتا سدهانت) وغيرها، وترجم كتاب (سوريا سدهانت) من اللغة السنسكريتية الى العربية وهو (علم النجوم) ومولفه (براهما غبطا) وترجما

http://nidaulhind.blogspot.com

(الفزارى) كما ترجمه ايضا (الكندى) و (البيرونى). وللفزارى فضل فى ترجمة الحساب من السنسكريتية الى العربية وهو الذى اخذ الارقام العربية وكذا الصفر فهو هندى فى الاصل. وان افلاطون اليونانى قال فى حقيقة النفس الرياضى «فهنا وفى الهند اصله» وتوكد كتب الهيئة ان الدائرة الهندية فى الرصد لمعرفة الظل الاصلى للشمس هى من مخترعات بعض قدماء الهند.

وقد اضاف العرب ما اثار اعجاب العلماء فقال (سارتن) انهم كانوا اعظم معلمين فى العالم فزادوا على العلوم التى اخذوها، ولولا جهودهم لبدات النهضة الاوربية فى القرن الرابع عشر من حيث بدأ فيها العرب.

وقد عقد ابن خلدون فصلا «فى ان العرب ابعد الناس عن الصنائع» وقال: تحلب الصنائع للعرب من قطر اخر. وانظر فى بلاد العجم من الصين والهند وارض الترك وامم النصرانية كيف استكثرت فيهم الصنائع بينما العرب قلت فيهم لرسوخهم فى البداوة ودليل ذلك قلة الامصار فيهم».

واورد ابن النديم «انه اختلف فى اول من استنبط الطب وفى اول الاطباء» فقال «قيل من الهند وقيل من اليونان او من غيره».

ولذا يمكن القول ان من الطب العربى ما هو مستوحى من آراء الطب القديم وخاصة منها اليونانى والتى زينت باضافات فنية من الطب الهندى القديم علاوة على الطب الفارسى والسريانى وتجارب العرب التى توارثوها من اسلافهم.

وان حكماء الهند لهم طرق تخالف طرق الروم والعجم فانهم يعتبرون خواص الأدوية دون طبائعها وهولاء الحكماء من الهنود اصحاب الفكرة يعظمون أمر الفكر ويقولون هو التوسط بين المحسوس والمعقول

http://nidaulhind.blogspot.com

احب الحلالة الملك المعظم يصل في المسجد الجامع بدلهى .

http://nidaulhind.blogspot.com

صاحب الجلالة الملك حسين ، عاهل الاردن والعقيد نهرو

http://nidaulhind.blogspot.com

فاعتقدوا بالوهم فى تصريف الاجسام كالاحتلام فى النوم تصرف الوهم فى الجسم . والوهم اذا تجرد عمل اعمالا عجيبة ، ولذا كان الطب سببا فى ولوج العرب الى العلوم الفلسفية كاللاهوت والمنطق .

ولم تبلغ النهضة الطبية عند العرب ذروتها الا فى عهد العباسيين حين اخذوا يترجمون من اللغات اليونانية والهندية وغيرها الى اللسان العربى ، ولكن العرب لم يقتصروا على الترجمة فحسب ، بل جددوا واضافوا فصنفوا المؤلفات القيمة أساساً على ما جربوه من الادوية وخواصها . فصنف ابو الحسن على بن سهل بن الطبرى كتاب (فردوس الحكمة) وفيه اخذ عن الطب الهندى من كتاب (سسرتا) و (شركا) و (نداذا) و (اشتافقهردى) وقد اقتبس منه (البيرونى) فى كتابه الهند (والمسعودى) فى مروج الذهب (وياقوت) فى المعجم وغيرهم .

وهكذا كان العصر العباسى عصر اقتباس العرب الطب عن الفرس والهند والاغريق واتضح ذلك خاصة فى عهد الخليفة المنصور الذى ضعفت معدته مما يجعله يهتم بالطب فيستدعى الاطباء ويشجعهم على البحث والتاليف فى الطب . وكذا البرامكة والرشيد الذى استقدم من يطبب له على طريق اليونان والهنود والفرس والكلدان وممن استدعاهم الرشيد الطبيب الهندى (منكة) فاصبحت بغداد وقتئذ عاصمة العلم ومركزا ثقافيا عظيما . كما امر البرامكة بنقل كتب الطب الهندى الى العربية لان يحيى بن خالد بن برمك كان مشرفا على شئون الدولة عموما وعلى التطور الثقافى بوجه خاص وقد استدعى يحيى البرمكى بعض علماء الهند لينقلوا كتبهم وافكارهم فنقلت من الهندية ثروة علمية الى اللغة العربية .

http://nidaulhind.blogspot.com

ومن المحتمل بان الاطباء الهنود الذين وفدوا من الهند فى عهد البرامكة دليل على ان التأثير اليونانى جاء بطريقة غير مباشرة من اليونان بواسطة الهنود الى الحضارة العربية . وراعى المأمون هذه الجهود فى خلافته اذ كان ذا ولع بالطب فقد روى عنه روايات تدل على حبه لدراسة وبحث الطب ومعرفته بالاغذية وخواصها ومما يلفت النظر ان (ديوسقوروسى) الطبيب الذى عاش فى الاسكندرية قبل الميلاد قد استخدم مصطلحات هندية ، مما يدلل على ان علم الجراحة التى فقدت مكانتها فى الهند سريعا قد بقيت تحت التأثير الاغريقى فيما بعد واخذ العرب وان نقلوا عن طب اليونان فهو طب بناه الاغريق على مصادر هندية فى الاصل ولعل فتح الاسكندر للهند احد عوامل نقل هذه المعارف الطبية الى بلاده من بلاد الهند .

ومن هذا نستدل اثر الطب الهندى فى البلاط العباسى خاصة ذلك التأثير الذى كان من احد اسباب النهضة الطبية عند العرب ، وللهند تأثير فى السحر والطلسمات بما وضعوه من الكتب ككتاب طمطم الهندى فى صور الكواكب فقد روى ابن خلدون حكايات عن سحرة الهند وعن معرفة الاحوال الفلكية واوضاع الكواكب وارتباطها مع الامور الارضية من المواليد وهى علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات فى عالم العناصر اما بغير معين او بمعين من الامور السماوية فالأول هو السحر والثانى هو الطلسمات .

« اما علم الاسارير فهو الاستدلال بالخطوط الموجودة فى الأكف والاقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر

---

(١) طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة ـ ج ـ ص ٢٨٩ . طبع حيدراباد سنة ١٣٢٨ هـ

http://nidaulhind.blogspot.com

وبحسب ما بينها من الفرج المتسعة او المتضايقة من حيث دلالتها على احوال الانسان من طول الاعمار وقصرها والسعادة والشقاوة والغنى والفقر، واكثر من تمهر فى هذا العلم الاعراب والهنود».

وفى الجغرافية اشار كثير من الرحالة العرب عن الهند فمنهم من وصل اليها (كاليعقوبى) و (سليمان التاجر) و (البيرونى) صاحب (كتاب الهند) بعد ان قام برحلات عديدة فيها ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التى كتبه باسلوب بعيد عن التحيز. كما اشار (الادريسى) الى الهند فى نزهة المشتاق و (المسعودى) يروى ان الاسكندر المكدونى كان يكتب رسائل لاستاذه (ارسطو) عن الهند بعد ان فتح بعض بلاد الهند وكان يصحب حملة الاسكندر بعض العلماء مما يدل على التأثير الهندى فى الحضارة الاغريقية. ومر (سليمان التاجر) بسواحل الهند وسرنديب وهو فى طريقه الى الصين فذكر شيئا عن هذه البلاد وقال ان اعظم ملوك الدنيا فى زمانه ملك العرب اى خليفة بغداد ثم ملك الصين وملك اليونان ثم الملك (بلهرا) الهندى فروى هذا الرحالة طرفا من نظام الحكم فيها.

اما صاحب كتاب سلسلة التواريخ (ابو زيد الحسن السيرافى) فلم يصل الى الهند وانما استقى معارفه عن التجار الذين يسألهم عن بلاد الهند فكتب عن جغرافيتها واحوال اهلها فى القرنين الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع من الميلاد) وبذا نستطيع القول بان هؤلاء الرحالة وغيرهم كان لهم اثر فى نقل المعرفة الهندية ونشرها فى بلاد العرب علاوة على ما الفوا من كتب علمية قيمة.

http://nidaulhind.blogspot.com

اما فى الادب العربى فيتضح الاثر الهندى فى ترجمة كتاب (كليلة ودمنة) الذى وضعه (بيدبا) الفيلسوف الهندى (لدابشليم) ملك الهند وقد جعله الملك وزيره وهذا الكتاب مجعول على السنة البهائم والطيور تنزيها للحكمة وفنونها.

وان كسرى (انوشروان) ارسل (برزويه) الحكيم الى بلاد الهند لاستخراج الكتاب فاستخرجه ونقله من اللسان الهندى الى اللغة الفارسية. ثم قام عبد الله بن هلال الاهوازى بنقل كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية وذلك ليحيى بن خالد البرمكى فى خلافة المهدى العباسى، ونظمه (سهل بن نوبخت) شعراً ليسهل حفظه بعد أن رغب يحيى البرمكى فى حفظه وذكر انه اربعة عشر الف بيت نظمها (أبان بن عبد الحميد) لجعفر او ليحيى بن خالد وقد قلده يحيى ديوان الشعر فكان الشعراء يرفعون اليه اشعارهم فى البرامكة فيسقط مايرى اسقاطه وقيل ان (ابن المقفع) الفارسى الاصل هو الذى دخل فى خدمة عيسى بن على عم الخليفتين العباس والمنصور قد قام بترجمة كتاب كليلة ودمنة من اللغة الفارسية الى اللسان العربى وهو كتاب مترجم من البوذية الهندية الى الفارسية.

ونستنتج ونحن على يقين بان كتاب (كليلة ودمنة) ذو أصل هندى ترجم الى العربية عن طريق الفرس وهو من الكتب القيمة بما يحويه من حكم على لسان الحيوان. اما كتاب (الف ليلة وليلة) فقد يصعب الكشف عن حقيقته لأن مؤلفه مجهول وحكاياته متنوعة العرض والاسلوب وان اكد علماء الاساطير او على الاصح بعضهم ان أصله من بلاد الهند

http://nidaulhind.blogspot.com

ثم نقل الى الفرس ثم الى لغة العرب وانتهى به الأمر الى بلاد الغرب. وحينما استقصينا حقيقة هذا الكتاب وجدنا ان اول من اورد ذكره من المؤلفين العرب هو صاحب (مروج الذهب) المؤرخ (المسعودى) المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية، وذلك حينما اشار الى اخبار «إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد» فقال: «ان هذه اخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب (هزار افسانه) وتفسير ذلك بالفارسية الف خرافة واسم خرافة بالفارسية (أفسانه) والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهرزاد ودنيازاد.

اما صاحب (الفهرست. ابن النديم) المتوفى سنة ٣٨٥ هجرية فقد اورد الف ليلة مع كتب الخرافات فسماه (هزار افسانه) ومعناه (الف خرافة) وترجم هذا الكتاب الى العربية بعنوان (الف ليلة) فى اواخر القرن الثالث الهجرى من اللغة الفارسية الا انه فى الاصل من الاقاصيص الهندية فلو استعرضنا المقدمة وبعض القصص نجدها تتشابه الى حد كبير فى الموضوع والاسلوب بالقصص الهندية فمثلا قصة (شهريار واخيه) انها مشابهة لقصة (كاقاسارت ساهارا) الهندية وان جمع حكاية باخرى لتكوين قصة، هذه من ميزات الادب القصصى الهندى كما يتضح من قصة (مهابهاراته وبنجة تنترى) اصل كليلة ودمنة وكما فى قصة البيغاء مع زوجة صاحبه فى قصة (سوكا سا بتاتى) الذى كان يروى لها الحكايات ليشغلها عن الذهاب لحبيبها ولايتم القصة الا فى يوم آخر إذ يقول لها اذا مكثت هنا سأروى

http://nidaulhind.blogspot.com

لك بقية القصة، وهذا الاسلوب هو ذاته اسلوب الف ليلة وليلة، ويلاحظ ان فى الاستجواب مثالا آخر يثبت ما ذهبنا اليه فان الراوى حين يرغب فى استثارة سامعه يقول ان قصة هذا كقصة ذلك فهل سمعت بها؟ ثم يقول السامع وكيف حدثت؟ فحينئذ يرويها له وهذا الاستجواب ما هو الا ترجمة للفظ السنسكريتى (كا تام اتات). وزيادة على ذلك فان من القصص ما هو من اصل فارسى ايضا. ولكن يمكننا الجزم بعد التحقيق الذى اوردناه بايجاز بان بعض الحكايات فى كتاب الف ليلة وليلة هندية وبدلالة مسمياتها (كالسندباد) معرب من سند وهى ارض فى الهند ورحلاته فيها ووصف المناظر وغيرها مما يثبت هذه الحقيقة.

ولو تصفحنا ما تشابه من الشعر العربى بالشعر الهندى لوصلنا الى نتيجة هامة وهى ان بعض البحور الشعرية (كالمتقارب وركض الخيل والسريع) متشابه الى حد كبير جدا بينهما فالشاعر الفحل الذى لاتزل قدمه فى الوزن بالشعر العربى ينبغى ان يجيد عروض الشعر كما هو الشاعر الهندى الذى عليه ان يدرك العروض الشعرية لكى يخوض فى نظم الشعر الجيد خلاف الشعر الفارسى الذى يستطيع الشاعر فيه ان ينظم اذا كان له أدنى سليقة ودون علم بالعروض الفارسية دونما ان يخرج عن القافية والوزن.

واتصف الادب العربى بالتشبيه البليغ والجناس والسجع والتورية والاستعارة مما نجد مايشبهها فى بلاغة الادب الهندى ايضا ولنا من كتاب سبحة المرجان امثلة تثبت ذلك ولايعنى ان احدهما اثر فى الآخر لاننا نترك الأمر للمختصين فى البلاغة فهو يحتاج الى تعمق اكثر.

http://nidaulhind.blogspot.com

ولو تدارسنا كتب (الجاحظ) كالبيان والتبيين والبخلاء والحيوان لرأينا ما حوت تلك الكتب من حكم هندية تدل على التأثير فى مجال الادب العربى ايضا .

وقد أوفد (انوشروان) الحكيم (برزويه) الى بلاد الهند ليجلب (الشطرنج) فاستخرجه كما وضع (صصه) بن داهر الهندى الشطرنج للملك شهرام ايضا ، بينما وضع النرد (اردشير بنى بابك) الهندى الحكيم على اساس ان الحظ هو المسير للامور وهو وسيلة النجاح او الفشل بينما الشطرنج وضع على اساس الفكر هو اساس النجاح .

وتقدم فن الموسيقى فى الهند تقدما محسوسا اذ اعتبر الهنود الموسيقى جزءاً من عباداتهم فجعلوا له الاهاً ، فما كان من العرب الا ان اقتبسوا الاوزان الموسيقية علاوة على الارقام التسعة فى الحساب والصفر حتى قيل « من فضائل الهند كليلة ودمنة والشطرنج والاحرف التسعة التى تجمع انواع الحساب» ونختم هذا الموجز بان الاقوام المختلفة التى دخلت فى حظيرة الخلافة العباسية اشتركت فى الترجمة فدونت بعض مظاهر حضارتها باللغة العربية ومنهم من الهند ، وبذا انتشرت العلوم انتشارا يدعو للاعجاب فنضجت الملكات فى البحث والتأليف ، وقد ساعد بعض الخلفاء والوزراء والسلاطين رجال العلم على ذلك فكثر العمران واتسع الفكر العربى . وان النقل لايقل اهمية من جهة نظر تاريخ الثقافة عن الابتكار لان هذه الفترة فى العصر العباسى الاول اعقبتها فترة ابتكار وابداع فلم يقتصر العرب على هضم علوم الأوائل فحسب بل كيفوها حسب حاجاتهم وصححوا

http://nidaulhind.blogspot.com

واضافوا ما وجدوه عن اسلافهم حسب تجاربهم الخاصة فظهرت بحوثهم اصيلة فى علوم اللغة والتشريع بنتاج مبتكر أصيل بينما استعانوا بما عند الامم الاخرى فى الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا فلم يعتمدوا الا على المعقول منها اذ وجهوا عليها التحقيق العلمى بالمنطق والتجربة وهذه لعمرى طرق البحث العلمى الصحيح وعلينا ان نقول ان الدراسات الهندية التى اقتبس منها العرب لاتؤثر فى اصالة التراث العربى ذو الطابع الاصيل فقد صهرت الثقافات الاجنبية فى بوتقة التجارب والتحقيق واظهرتها فى قالب جديد واصيل .